Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يضمن امتداد « المبخرة» إلى بقية الأجزاء ، ويدفعنا لأن نتساءل عن مدى تجذر هذه التقنية فى التراث السردى القديم فى حكايات الشطار وأدب الصّعاليك ، وما الفرق بين دلالتها هناك ووضعها اليوم ، هل نحن بصدد إعادة استزراع للسردية العربية فى مناخاتها الشعبية المضادة للأفق الرسمى؟ أم حيال إحدى تجليات الاختلاف فى صياغة الذوق الأدبى ينتمى إلى مجال ما بعد الحداثة دون علاقة بالماضى؟ وإذا تذكرنا أن هذه السيرة الذاتية تراوحت بين عنوانين : « الشطار» فى طبعة ، و«زمن الأخطاء» فى طبعة أخرى ، أدركنا أن المشكلة لم تكن فى مجال النشر وظروف الاختيار بين المشرق والمغرب بقدر ما هى مظهر لتعدد تفسيرات النص وفضاءاته الدلالية بطريقة تبرز تواطؤ المؤلف والنقاد المقدمين له فى هذا التعدد .

بين الارتجال والابتذال :

للكتابة طقوس وتقاليد ، مثلما للحب ، يتفنن المبدعون فى الخروج عليها وابتكار أنماط جديدة منها ، فى عملية أدائها والشروط الحافة بها من ناحية ، وكيفية التقاطها لتداعيات الخواطر واختيارها لمادتها الأولية من ناحية ثانية . لكن شكرى يصر دائما على أن يذهل قارئه بما لا يمكن أن يقع فى حسبانه أو يدخل فى دائرة توقعاته بالنسبة للأمرين معا . يقول فى هامش الفصل الثالث تعليقا على حكاية التجول فى المقابر: «مازالت أمارس هذه العادة حتى اليوم ، بعض كتاباتى ، منها الجزء الأول من سيرتى الذاتية الخبز الحافى ، وهذه التى أكتبها اليوم ، كتبت فصولا منها فى المقابر اليهودية والنصرانية والإسلامية ، خاصة المقابر التى يرجع عهدها إلى القرن التاسع عشر فى طنجة ، ربما لأن المقابر القديمة أكثر إيحاء أو لأنى أحب الموت القديم» .

لو كان شكرى كاتبا رومانسيا متشائما لكانت قصته مع كتابة المقابر مندرجة فى إطارها المرجعى ، لكنه كاتب طبيعى حتى النخاع ، مسرف فى ماديته وحسيته وانتباهه المستغرق لأدق التفاصيل الفاحشة فى الحياة اليومية السفلى ، يستبعد تماما